يقع لهم من الأمور التى لا تكفى للحكم على ماهية الحياة ، وكل ما رأيته بعد ذلك يؤيد هذا الرأى ويقرر هذه التجربة ، فالكلمة الواحدة تختلف فى معانيها باختلاف قائليها ، فيؤبه لها من قائل ولا يلتفت إليها من قائل غيره لأن الكلام جزء من الإنسان ، وليس بحركات تتموج فى الهواء وتقع فى الآذان . فإذا أردت أن تعرف الجزء فلا محيص لك من الرجوع به إلى كله الذى تجزأ منه . وإذا أحببت أن تفهم الكلمة فافهم المتكلم لأنها من معدنه أخذت ، ومن مميزاته تعتبر وتوزن» .

وهذا قول يبدو سليمًا فى نظر المنطق الشكلى القائم على القياس . . ولكننا نخشى أن يداخله الخطأ من التعميم ، وهو الاتجاه الذى سجلناه منذ ما يقرب من العشرين عامًا عندما اشتبكنا نحن أيضا فى مناقشات عنيفة مع العقاد ، ولكنه على أية حال يدخل فى يسر ضمن فلسفته العامة التى تعتبر الفردية من منابعها الثرة .

والفردية أو - على نحو أدق- أصالة الفردية هى المبدأ العام الذى نجده خلف دعوة التجديد فى الشعر التى قادها فى النصف الأول من هذا القرن الأستاذ العقاد وصاحباه شكرى والمازنى . وهى الدعوة التى طالبت بأن يكون الشعر الغنائى تعبيرًا عن الوجدان الفردى للشاعر . وقد نجحت هذه الدعوة وطبعت تجديدنا الشعرى كله بطابعها ، وإن يكن هذا الوجدان الفردى قد تطور بعد ذلك إلى وجدان جماعى ، مع المحافظة طبعًا ودائمًا على الطابع الوجدانى الذى حرم منه هذا الفن الشعرى ، حرم من أحد مقوماته الأساسية ، على نحو ما سنفصل عندما نعرض لدفاع الأستاذ